المحاضرة الثامنة: أعلام الحركة الوهابية

ظهرت الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية خلال القرن الثامن عشر على يد محمد بن عبد الوهاب، غير أنّ تأثيرها الفكري والسياسي امتد بقوة خلال القرن التاسع عشر والعشرين، حيث برز عدد من العلماء والدعاة والأمراء الذين ساهموا في نشر أفكارها، والدفاع عنها، وتوسيع نفوذها في الجزيرة العربية وخارجها. وقد ارتبطت هذه الحركة بالدعوة إلى العودة إلى التوحيد الخالص، ومحاربة البدع والخرافات، والتمسك بالنصوص الشرعية، مع الاعتماد على المذهب الحنبلي في الفقه، **من أعلام الحركة الوهابية خلال القرن العشرين**

1. محمد بن إبراهيم آل الشيخ (1893 - 1969)

يُعدّ محمد بن إبراهيم آل الشيخ من أبرز علماء الدعوة السلفية الوهابية في القرن العشرين، ومن أكثر الشخصيات الدينية تأثيراً في الحياة العلمية والقضائية والتعليمية في المملكة العربية السعودية، ارتبط اسمه بمرحلة تأسيس المؤسسات الدينية الحديثة في السعودية، كما عُرف بمكانته العلمية الكبيرة، وبدوره في تخريج جيل من العلماء الذين أصبحوا لاحقاً من كبار رموز التيار السلفي في العالم الإسلامي.

ولد محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ سنة 1893م في مدينة الرياض، وينتمي إلى أسرة آل الشيخ، وهي الأسرة العلمية المعروفة المنحدرة من نسل محمد بن عبد الوهاب .نشأ في بيئة علمية ودينية محافظة، وكان والده من العلماء المعروفين في نجد، الأمر الذي ساعده على التوجه مبكراً نحو طلب العلم الشرعي وحفظ القرآن الكريم ودراسة علوم العقيدة والفقه والحديث، فقد بصره في سن مبكرة نتيجة إصابته بمرض في عينيه، غير أنّ ذلك لم يمنعه من مواصلة طلب العلم، بل زاد من اهتمامه بالحفظ والتلقي الشفهي، وهي الطريقة التقليدية التي كانت سائدة في حلقات العلم آنذاك، تلقى علومه على عدد من كبار علماء نجد، وبرز بسرعة في علوم العقيدة والفقه الحنبلي، حتى أصبح من أبرز علماء عصره. بعد \لك تولى التدريس والإفتاء في الرياض، ثم ازدادت مكانته العلمية مع توسع الدولة السعودية الحديثة بقيادة عبد العزيز آل سعود .وفي سنة 1953م عُيّن مفتياً عاماً للمملكة العربية السعودية، فأصبح المرجعية الدينية العليا في البلاد، كما ترأس عدداً من الهيئات العلمية والقضائية.

كان له دور كبير في تنظيم الحياة الدينية في السعودية، إذ ساهم في تطوير القضاء الشرعي، والإشراف على التعليم الديني، ووضع الأسس العلمية للمؤسسات الشرعية، كما كان له تأثير واضح في إنشاء المعاهد العلمية والكليات الشرعية التي أصبحت فيما بعد نواة لعدد من الجامعات الإسلامية، ومن أبرزها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. كما عُرف الشيخ بتمسكه الشديد بالعقيدة السلفية، وبدعوته إلى الالتزام بما يراه منهج السلف الصالح في العقيدة والعبادة والسلوك، وكان شديد المعارضة للممارسات التي اعتبرها بدعاً أو مخالفات شرعية، مثل التوسل بالأولياء وزيارة القبور على نحو تعبدي، كما دعا إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في مختلف مجالات الحياة.

امتاز أسلوبه العلمي بالقوة والوضوح والاعتماد على النصوص الشرعية من القرآن والسنة، إلى جانب اهتمامه الكبير بآراء علماء المذهب الحنبلي، وقد ترك عدداً كبيراً من الفتاوى والرسائل العلمية التي جُمعت بعد وفاته في مؤلفات متعددة، أشهرها: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، تحكيم القوانين، شرح كشف الشبهات، كما كان له أثر بالغ في تكوين جيل من العلماء والدعاة، ومن أبرز تلاميذه: عبد العزيز بن باز، عبد الله بن حميد، محمد بن صالح العثيمين بصورة غير مباشرة من خلال المدرسة العلمية التي أسسها .

تميّزت شخصيته بالهيبة العلمية والزهد والصرامة في القضايا الدينية، وكان له تأثير واسع في المجتمع السعودي خلال منتصف القرن العشرين. وقد مثّل المرجعية الدينية العليا في مرحلة مهمة من تاريخ المملكة، حيث تزامن نشاطه مع توسع مؤسسات الدولة الحديثة وتزايد حضور المملكة في العالم الإسلامي.

توفي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ سنة 1969م في الرياض، بعد مسيرة طويلة في التعليم والإفتاء والقضاء. وقد ترك وراءه تراثاً علمياً كبيراً، وأسهم بصورة مباشرة في ترسيخ المدرسة السلفية التقليدية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، وظل تأثيره ممتداً عبر تلاميذه ومؤلفاته والمؤسسات العلمية التي ساهم في بنائها.

2. عبد العزيز بن باز (1910 - 1999)

عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن باز أحد أبرز العلماء والدعاة في العالم الإسلامي خلال القرن العشرين، وقد ارتبط اسمه بالحركة السلفية المعاصرة وبالمؤسسة الدينية في المملكة العربية السعودية. عُرف بغزارة علمه، وكثرة فتاواه، ونشاطه الدعوي والتعليمي، إضافة إلى تأثيره الكبير في انتشار الفكر السلفي داخل العالم الإسلامي وخارجه، ولد في مدينة الرياض سنة 1910م/1330هـ في أسرة علمية محافظة. نشأ في بيئة دينية مهتمة بالعلوم الشرعية، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ثم اتجه إلى دراسة الفقه والعقيدة والحديث على أيدي عدد من كبار علماء نجد، وقد أصيب بضعف في بصره منذ صغره، ثم فقد بصره كلياً في مرحلة الشباب، غير أن ذلك لم يمنعه من مواصلة طلب العلم والتدريس والتأليف، بل زاد من إقباله على الدراسة والحفظ.

تلقى تعليمه على يد مجموعة من كبار العلماء، من أبرزهم محمد بن إبراهيم آل الشيخ الذي تأثر به كثيراً في العقيدة والفقه، كما درس على الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ وغيرهم من علماء نجد. وقد ظهر نبوغه العلمي مبكراً، فاشتغل بالتدريس والإفتاء وهو في سن مبكرة، ثم بدأ ابن باز حياته العملية مدرساً في المعاهد العلمية، ثم تولى القضاء في منطقة الخرج لعدة سنوات، حيث عُرف بالتزامه بالتطبيق الصارم لأحكام الشريعة وفق المذهب الحنبلي والرؤية السلفية، وبعد ذلك انتقل إلى التدريس في المعاهد والكليات الشرعية، وأسهم في تأسيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة سنة 1961م، وكان من أبرز القائمين عليها، حيث ساعدت الجامعة في استقطاب طلاب من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ونشر الفكر السلفي عالمياً.

شغل الشيخ ابن باز عدة مناصب دينية مهمة، منها: نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، رئيس الجامعة الإسلامية رئيس إدارة البحوث العلمية والإفتاء، رئيس هيئة كبار العلماء في السعودية، المفتي العام للمملكة العربية السعودية سنة 1993م.

وقد كان لصوته وفتاواه حضور واسع عبر الإذاعة والبرامج الدينية، خاصة برنامجه الشهير "نور على الدرب"، الذي أجاب فيه عن آلاف الأسئلة الدينية المتعلقة بالعقيدة والعبادات والمعاملات، كما تميّز فكره بالتمسك بالعقيدة السلفية القائمة على فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية، وكان يدعو إلى: الالتزام بالتوحيد ومحاربة الشرك والبدع والعودة إلى القرآن والسنة ونشر العقيدة السلفية في التعليم والدعوة، والالتزام بالمذهب الحنبلي مع عدم التعصب المذهبي، و الاهتمام بالدعوة والإرشاد في العالم الإسلامي.

كما كان له موقف واضح من بعض الممارسات الدينية المرتبطة بزيارة القبور والتوسل بالأولياء، إذ عدّها من البدع أو وسائل الشرك، وهو ما جعله محل تأييد من أتباع التيار السلفي، وفي المقابل تعرض لانتقادات من بعض علماء التصوف والتيارات الإسلامية الأخرى. امتد تأثير ابن باز خارج السعودية، حيث انتشرت كتبه وفتاواه في العالم العربي والإسلامي، واستفاد منه آلاف الطلاب والدعاة. كما ارتبط اسمه بعدد من المؤسسات الخيرية والدعوية التي عملت على نشر التعليم الإسلامي وبناء المساجد وطباعة الكتب الشرعية.

ومن أبرز صفاته التي ذكرها تلاميذه: التواضع والزهد، قوة الحفظ وسعة الاطلاع، كثرة العبادة والاهتمام بالعلم، الحرص على التعليم والإفتاء، الاهتمام بقضايا المسلمين في مختلف أنحاء العالم.

ترك الشيخ عدداً كبيراً من المؤلفات والرسائل والفتاوى، من أهمها: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة، الدروس المهمة لعامة الأمة، وجوب العمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، نقد القومية العربية

توفي الشيخ عبد العزيز بن باز في الطائف سنة 1999م/1420هـ، بعد مسيرة طويلة في التدريس والدعوة والإفتاء، وقد عُدّ رحيله حدثاً بارزاً في العالم الإسلامي بسبب مكانته العلمية والدينية الكبيرة.

3. محمد بن صالح العثيمين (1925 - 2001)

محمد بن صالح بن محمد العثيمين هو أيضا من أبرز علماء الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية والعالم الإسلامي خلال القرن العشرين، وقد اشتهر بعلمه الغزير في الفقه والعقيدة والتفسير وأصول الفقه، إضافة إلى أسلوبه التعليمي السهل الذي جعل دروسه وفتاواه منتشرة بين طلاب العلم وعامة الناس، ويُنظر إليه بوصفه أحد كبار أعلام المدرسة السلفية المعاصرة، إلى جانب علماء مثل عبد العزيز بن باز ومحمد ناصر الدين الألباني، ولد الشيخ في مدينة عنيزة سنة 1925م/1347هـ في أسرة محافظة تهتم بالعلم والدين، نشأ في بيئة دينية أثرت في تكوينه العلمي، فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وبدأ دراسة العلوم الشرعية واللغة العربية على علماء بلدته، حيث ظهرت ميوله إلى الفقه والبحث العلمي منذ شبابه.

تلقى تعليمه الأول على يد جده من جهة الأم الشيخ عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ، ثم درس على عدد من كبار علماء نجد، وكان أكثرهم تأثيراً فيه الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الذي لازمه سنوات طويلة وتأثر بمنهجه في التفسير والفقه والتربية، كما درس على الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع، ثم التحق لاحقاً بحلقات الشيخ عبد العزيز بن باز واستفاد منه في علم الحديث والفقه.

بدأ العثيمين التدريس في سن مبكرة بعد أن أذن له شيخه السعدي بذلك، فدرّس في المعهد العلمي بعنيزة، ثم في كلية الشريعة التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. كما عُرف بدروسه العلمية المنتظمة في المسجد الجامع بمدينة عنيزة، حيث قصده طلاب العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

امتاز الشيخ العثيمين بمنهج علمي يقوم على: الاعتماد على القرآن والسنة والاستدلال المباشر بالنصوص الشرعية والعناية بأقوال السلف الصالح والجمع بين الفقه والدليل وتبسيط العلوم الشرعية للطلاب والاهتمام بالتربية والأخلاق إلى جانب التعليم، وقد كان قريباً من منهج المدرسة السلفية في العقيدة، مع اهتمام خاص بشرح مسائل التوحيد والعقيدة والفقه الحنبلي وأصول الفقه، لكنه تميز كذلك بالقدرة على الشرح المنطقي والتحليل الفقهي، مما جعله من أكثر العلماء تأثيراً في طلاب العلم المعاصرين.

شغل الشيخ عدة مناصب علمية ودينية، منها: أستاذ في كلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام في القصيم، عضو في هيئة كبار العلماء في السعودية، إمام وخطيب الجامع الكبير في عنيزة، مشارك في برامج الإفتاء والدروس الدينية في الحرمين الشريفين، كما شارك في مواسم الحج والدورات العلمية التي كانت تُقام في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكان له حضور قوي في وسائل الإعلام الدينية.

ترك الشيخ العثيمين تراثاً علمياً ضخماً، إذ بلغت مؤلفاته وشروحه عشرات المجلدات، وتميزت بالوضوح وسهولة العبارة والتنظيم العلمي. ومن أبرز مؤلفاته: الشرح الممتع على زاد المستقنع، شرح العقيدة الواسطية، شرح رياض الصالحين، الأصول من علم الأصول، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تفسير القرآن الكريم، فتاوى أركان الإسلام.

كما عُرف بأسلوبه السلس في الإلقاء، واستخدام الأمثلة الواقعية لتقريب المعاني، وهو ما ساعد على انتشار دروسه الصوتية والمرئية في العالم الإسلامي. أما في الجانب الفكري، كان العثيمين من أبرز المدافعين عن العقيدة السلفية، وركز في كتاباته ودروسه على: توحيد العبادة، اتباع السنة النبوية، التحذير من البدع، العناية بالعلم الشرعي، ترسيخ منهج السلف في الاعتقاد، ورغم انتمائه الواضح إلى المدرسة السلفية، فقد عُرف أيضاً بهدوئه في الحوار، وابتعاده غالباً عن الجدل السياسي المباشر، مع تركيزه على التعليم والتربية والدعوة.

أصيب الشيخ بمرض في أواخر حياته، ثم توفي في مدينة جدة سنة 2001م/1421هـ، ونُقل جثمانه إلى مكة المكرمة حيث صُلّي عليه في المسجد الحرام ودُفن فيها، وقد شكّل رحيله خسارة كبيرة لكثير من طلاب العلم ومحبيه في العالم الإسلامي.